٣١
المحبـــة

المحبـة من المعاني التي يلتبس شرعيها بشركيها، وتدخل في العقائد البـاطنـة؛ كالولاية؛ فرأينا أن نختم بها هٰذه المباحث في الولاية والكرامة وما يلتبس بهـا من كهـانـة وسحر، وما يلابس السحر من رقى وتمائم، ثم نعقبها بمظاهر الشرك القولية كالدعاء، والفعلية كالزيارة، والمالية كالذبائح.

● معنى المحبة في اللغة:

المحبـة والحب: الـوداد وإرادة الخير، وتستعمل هٰذه المادة في معان مرجعها ـ كما في «مدارج السالكين» ـ إما إلى الصفاء والبياض، ومنه الحبب ـ بفتحتين ـ لتنضـد الأسنـان، وإمـا إلى العلو والـظهـور، ومنـه حباب الماء ـ بالفتح ـ للفقاقيع التي تعلوه كأنها القوارير، يقال: طفا الحباب على الشراب، وإما إلى اللزوم والثبات، ومنه أحباب البعير؛ أي: بروكه، يقال: أحب البعير أحباباً: إذا أصابه مرض أو كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت، وإما إلى الأصل واللب، ومنه الحبة من الحنطة ونحوها، وحبة القلب سويداؤه، وإما إلى الحفظ والإمسـاك، ومنـه الحب ـ بالضم ـ للجـرة واحـدة الجـرار، وكل هٰذه المعاني الخمس لازمة للمحبة بمعنى المودة.

وفرق أبو هلال العسكري بين الحب والود بأن الحب يكون فيما يوجبه

ميل الطبع أو الحكمة، فتقول: أحب الرجل وأحب الصلاة، وأن الود يختص بميل الطبع، فتقول: أود الرجل، ولا تقول: أود الصلاة. وفرق أيضاً بين المحبة والإرادة بأن الإرادة تتعلق بالشيء لذاته، والمحبة تتعلق به لمعنى فيه، فتقول: أحببت زيداً؛ تريد نفعه وإكرامه، ولا تقل: أردته؛ بهٰذا المعنى (ص ٩٨ ـ ٩٩).

● **أوجه المحبة:**

وقال الراغب: «المحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه: محبة للذة؛ كمحبة الرجل المرأة، ومنه: ﴿**وَيُطْعِمونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً**﴾ [الإنسان: ٨]. ومحبة للنفع؛ كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: ﴿**وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللهِ وفَتْحٌ قَريبٌ**﴾ [الصف: ١٣]. ومحبة للفضل؛ كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم، وربما فسرت المحبة بالإرادة في نحو قوله تعالى: ﴿**فيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّروا**﴾ [التوبة: ١٠٨]، وليس كذلك؛ فإن المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدم آنفاً؛ فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة...».

● **معنى المحبة في القرآن:**

وقوله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فمحبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.

وقوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي...**﴾ [صٓ: ٣٢]؛ فمعناه: أحببت الخيل حبي للخير.

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ أي: يثيبهم وينعم عليهم، وقال: ﴿**لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أَثِيمٍ**﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]؛ تنبيهاً أنه بارتكاب الآثام يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك، وإذا لم يتب؛ لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التوابين والمتطهرين.

هٰذا كلام الراغب، وقد وضعنا نقطاً للدلالة على أنا حذفنا من أثنائه ما لم نر نقله.

● المحبة الدينية وثمرتها:

وقد أورد في «مدارج السالكين» ثلاثين عبارة في تعريف المحبة، نقتصر منها على واحدة، وهي: «إرادة غرست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة» (٣ / ٩).

والمحبوب هٰذه المحبة إما الله أو غير الله، ومحبة الله من أسباب انشراح الصدر، ومحبة سواه مما يعذب القلب وينكد العيش.

قال في «زاد المعاد»: «هما محبتان: محبة هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح وغذاؤها ودواؤها، بل حياتها وقرة عينها، وهي محبة الله وحده بكل القلب، وانجذاب قوى الميل والإرادة والمحبة كلها إليه، ومحبة هي عذاب الروح وغم النفس وسجن القلب وضيق الصدر، وهي سبب الألم والنكد والعناء، وهي محبة ما سواه سبحانه» (١ / ١٥٣).

● حكم المحبة الدينية:

وقال في «الفتح»: «محبة الله على قسمين: فرض، وندب؛ فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره، والانتهاء عن معاصيه، والرضى بما يقدره؛ فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب؛ فلتقصيره في محبة الله، حيث قدم هوى نفسه، والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات

والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء، فيقدم على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع، وهٰذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم، وإلى الثاني يشير حديث: «لا يزني الزاني وهو مؤمن»[١٠٢]، والندب أن يواظب على النوافل، ويتجنب الوقوع في الشبهات، والمتصف عموماً بذٰلك نادر.

وكذٰلك محبة الرسول على قسمين كما تقدم، ويزاد أن لا يتلقى شيئاً من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها» (١ / ٥٢).

● علامة المحبة الدينية والباعث عليها:

وقال أيضاً في الباعث على هٰذه المحبة وعلامة تحققها: «من استكمل الإيمان؛ علم أن حق الله ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمه وولده وزوجه وجميع الناس؛ لأن الهدى من الضلال والخلاص من الناس إنما كان بالله على لسان رسوله، ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل، والذب عن شريعته، والتخلق بأخلاقه» (١٠ / ٣٨٠).

● المحبة في الله ومع الله:

ولا تنافي بين تخصيص ابن القيم المحبة المحمودة بالله وتعميم الحافظ لها وتعديتها إلى النبي ﷺ؛ فإن محبة غير الله: إما أن تكون في الله، أو مع الله.

---

(١٠٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥ / ١١٩ / ٢٤٧٥)، ومسلم (١ / ٧٦ ـ ٧٧ / ٥٧) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن».

فالمحبة في الله أن تحب من يحبه الله، والله يحب المحسنين والمتقين والتوَّابين والمتطهِّرين، وإذن تكون محبة غير الله من معنى محبة الله مقوية لها غير متنافية معها، والمحبة مع الله أن يتعلق قلبك بسواه، فتغفل عن الله، وتتوجه إلى غيره بالرغبة والرهبة، فتكون محبتك هٰذه مغنية عن محبة الله منافية لها؛ فالمحبة في الله محمودة متعدية إلى كل داع إلى الله من الأنبياء المرسلين والأولياء الصالحين والعلماء العاملين، وهٰذه الحالة هي التي في كلام الحافظ، والمحبة مع الله ذميمة حاملة لكل ما في الشرك من مساوىء وأضرار.

● ما جاء في المحبة:

وقد جاء في الكتاب والسنة عطف الرسول على الله في المحبة؛ قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وأَبْناؤُكُمْ وإِخْوانُكُمْ وأَزْواجُكُمْ وعَشيرَتُكُمْ وأموالٌ اقْتَرَفْتُموها وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبيلِهِ فَتَرَبَّصوا حَتّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه؛ أنه ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه؛ وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(١٠٣).

ومعنى محبة المرء لله أو في الله: أن لا تحبه لطمع في الدنيا؛ كما ذكره في «طبقات الحنابلة» عن أحمد (ص ٣٣)، بل تحبه لما عليه من الهدى والاستقامة.

---

(١٠٣) رواه البخاري (١ / ٦٠ / ١٦)، ومسلم (١ / ٦٦ / ٤٣) عن أنس.

وفي «الدر المنثور» من رواية ابن أبي حاتم، وأبي نعيم في «الحلية»، والحاكم؛ عن عائشة رضي الله عنها؛ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن يحب على شيء من الجور ويبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض في الله؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»[١٠٤] (٢ / ١٧).

قال الحافظ في «الفتح»: «وقد اختلف في سبب نزول الآية؛ فأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري؛ قال: كان قوم يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل، فأنزل الله هٰذه الآية، وذكر الكلبي في «تفسيره» عن ابن عباس أنها نزلت حين قال اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، وفي «تفسير» محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في نصارى نجران؛ قالوا: إنما نعبد المسيح حبّاً لله وتعظيماً له، وفي «تفسير» الضحاك عن ابن عباس؛ أنها نزلت في قريش؛ قالوا: إنما نعبد

---

(١٠٤) ضعيف:

أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٢ / ٢٩) ـ، وأبو نعيم في «الحلية» (٨ / ٣٦٨ و٩ / ٢٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٢٩١) من طريق عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة به.

وقال الحاكم: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه»! وتعقبه الذهبي في «التلخيص» بقوله:

«قلتُ: عبد الأعلى، قال الدارقطني: ليس بثقة».

وفي «الميزان» (٢ / ٥٢٩): «قال العقيلي: جاء بأحاديث منكرة ليس منها شيء محفوظ»، ثم ساق هٰذا الحديث من منكراته، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ١٥٦): «يروي عن يحيى ابن أبي كثير ما ليس من حديثه، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

قلتُ: وله علّة أخرى، وهي عنعنة ابن أبي كثير؛ فقد كان يدلس كما في «التقريب» وغيره.

الأصنام حبّاً لله لتقربنا إليه زلفى، فنزلت» (١٠ / ٤٥٩).

● **لوازم المحبة الشرعية:**

وقد أرشدت هاته الآية إلى آية الصدق في دعوى حب العبد ربه، وأثبتت آية المائدة لهؤلاء المحبين أربع صفات؛ فقال تعالى: ﴿**يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عِنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلى المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ على الكافِرينَ يُجاهِدونَ في سَبيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤]:

ـ فقوله: ﴿**أَذِلَّةٍ على المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ على الكافِرينَ**﴾؛ معناه: الإخبار عنهم بالسهولة والتواضع في رحمة وعطف مع إخوانهم في الدين، وبعزة النفس وشرف القوة مع خصومهم في الدين، وعن هاتين الصفتين عبر في سورة الفتح بقوله: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ وَالّذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلى الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: ٢٩].

ـ وقوله: ﴿**يُجاهِدونَ في سَبيلِ اللهِ**﴾: إخبار عنهم ببذل نفوسهم وأموالهم في نصرة الدين في مواطن الحرب بالسيف، وفي مواضع السلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ـ وقوله: ﴿**وَلا يَخافونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾: إخبار عن عدم مبالاتهم بمن يغضبون من كلمة فيها رضى الرب.

ومجموع ما أفادته آيتا آل عمران والمائدة خمس صفات هي الدلائل على صدق المحبة لله، وهي: اتباع الرسول ﷺ، والتراحم مع الإخوان في الدين، والشدة على الأعداء فيه، والقيام بكل ما يؤيد الدين، وعدم التقصير في الصدع بالحق مراعاة للناس.

● مظاهر المحبة الشركية:

تلك لوازم المحبة الشرعية، وخلافها المحبة الشركية، وهي كل محبة تغر في الدين وتبعث على الاكتفاء بها دون الجد في الصالحات وتحري المشروع منها، ولا تثمر ربط القلوب وصلتها بعضها ببعض إذا اتحدت على الشهادتين، ولا توجب النفور من كل من يحاول هدم تعاليم الإسلام، ولا تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تعود صاحبها على استعذاب العذاب في خدمة المبدإ الحق المجمل في الشهادتين، وهٰذه المحبة الشركية هي التي ردها الله على مشركي قريش وضلال اليهود والنصارى بآية آل عمران المتقدمة، وبقوله في المائدة: ﴿**وَقالَتِ اليَهُودُ وَالنّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنوبِكُمْ**﴾ [المائدة: ١٨].

ومن كلام الحسن البصري: «ابن آدم! لا يغرنك أن تقول: المرء مع من أحب؛ فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم، وإن اليهود والنصارى ليحبون أنبياءهم، ولا والله؛ ما يحشرون معهم، ولا يدخلون في زمرتهم، وإنهم لحطب جهنم هم لها واردون». نقله ابن الجوزي في «رسالته» (ص ٣٢).

● فائدة المحبة الشرعية:

وقد أشارت هٰذه الآية إلى فائدة المحبة المشروعة، وأنها النجاة من العذاب، وأفاد حديث «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه؛ أنه ﷺ قال: «المرء مع من أحب»(١٠٥): فائدة أخرى، وهي أن من أنجته محبته؛ ألحقته

---

(١٠٥) رواه البخاري (١٠ / ٥٥٧ / ٦١٦٨ و٦١٦٩ و٦١٧٠)، ومسلم (٤ / ٢٠٣٤ / ٢٦٤٠ و٢٦٤١) عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، ولفظ حديث ابن مسعود عند مسلم: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: يا رسول الله! كيف ترى في رجلٍ أحبّ قوماً ولمّا يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحبّ». =

بحبيبه في الدرجة وإن كان دونه في العمل.

● حكاية في المحبة:

حكى في «كشف الخفاء» عن البيهقي؛ أن رجلاً من أهل بغداد سأل أبا عثمان الواعظ: متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه؟ فقال: «إذا خلا من خلافه كان صادقاً في حبه». فوضع الرجل التراب على رأسه وصاح وقال: كيف أدعي حبه ولم أخل طرفة عين من خلافه؟! فبكى أبو عثمان وأهل المجلس، وصار أبو عثمان يقول في بكائه: «صادق في حبه، مقصر في حقه» (٢ / ٢٠٣).

● عدم الاتكال على المحبة:

وليس معنى هاته الحكاية أن الرجل كان متكلاً على المحبة معرضاً عن العمل، وإنما معناها أنه كان مستقلاً لعمله مستكثراً لذنبه.

ومما أورده في «مدارج السالكين» من عبارات العلماء عن المحبة قولهم: «استكثار القليل من جنايتك، واستقلال الكثير من طاعتك» (٣ / ٨).

فلا تظن من هٰذه الحكاية إسقاط العمل اكتفاء بالمحبة؛ فقد نقل في «كشف الخفاء» عن بعض العلماء بعدما أورد حديث «المرء مع من أحب» ورواياته أنه: «مشروط بشرط، وعنى ﷺ: أنه إذا أحبهم عمل بمثل أعمالهم».

= ورواه البخاري (٧ / ٤٢ / ٣٦٨٨)، ومسلم (٤ / ٢٠٣٢ - ٢٠٣٣ / ٢٦٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه؛ أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددتَ لها؟». قال: لا شيء إلّا أني أحبُّ اللهَ ورسولَهُ ﷺ. فقال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قال أنس: فما فرحنا بشيءٍ فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبّي إيَّاهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم».

ولقد صدق القائل:

تَعْصي الإلٰـهَ وأَنْتَ تُظْهِـرُ حُبَّـهُ   هٰذا لَعَمْري فِي القِياسِ بَدِيعُ
لَوْ كانَ حُبُّـكَ صادِقـاً لأَطَـعْتَـهُ   إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

●●●●●